الوحدة السياسية في بلاد الرافدين "حمورابي أنموذجا"

أ./ الطيب زين العابدين

قسم التاريخ- جامعة الجزائر 2

يعزى سبب تأخر الوحدة السياسية خلال العصر البابلي القديم (2004-1595ق. م) إلى وُجود الكثير من دويلات المدن الأمورية، والتي أصبحت بها البلاد مقسّمة فيما بينها، إذ كان لكل دويلة مدينة نظامُها الخاص وسلالتها الحاكمة، لذلك أطلق على ذلك العصر اسم (عصر دويلات المدن الثاني) تميزاً له عن عصر دويلات المدن السومرية، إلاّ أنّ أهميتها كانت محدودة، وكانت أقرب إلى المشيخات أو الإمارات منها إلى الممالك المستقلة، وبذلك توزّع نفوذ السّلالات الأمورية الحاكمة على مناطق مختلفة من بلاد الرافدين، فكانت منها القوية مثل مملكة إيسن ولارسا، وأشنونا، وأشور، وبابل، وماري، ومنها الضعيفة مثل سيبار والوركاء والدير وكيش، دون أن تساهم في تحقيق وحدة كاملة للدولة، فكان لظهور أسرة بابل الأولى وحكامها دور كبير في بناء وتوحيد الدّولة، بدءًا من مرحلة التأسيس إلى غاية القضاء على الانقسام السياسي الذي قام به الملك حمورابي.

وإذا كان أشهر ملوك سلالة بابل الأولى هو ملكها السادس حمورابي(1792-1750 ق. م[1]فقد ورد في معنى اسمه الإله حمو (Hammu) عظيم أو مُكثر، وَحَمُّو من الأرباب الجزرية (السّامية) الغربية، وقد يكون اسمه "عمورابي"[2].

ويرى سهيل قاشا أنّ حمورابي تقرأ بالبابلية "خمورابي" ومعناها السّيد العظيم وكذلك رئيس العائلة[3]، لكن قد يكون اسمه يُقرأ أيضًا في البابلية (خمربخ) أي (خم- ربخ)، فالجزء الأول من الإسم (خم) وهو الإله (عم) الذي نجده أيضا في النقوش العربية الجنوبية القديمة، أما الجزء الثاني (ربخ) فلعلّه

---

1 -طه باقر، بابل وبروسبا، ط1، مطبعة الحكومة، بغداد، 1959، ص2.

2 -سامي سعيد الأحمد، العراق في التاريخ "العصر البابلي القديم"، دار الحرية، بغداد، 1983، **ص 88** ؛ عبد القادر الشيلخي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ج1، جامعة بغداد، بغداد، 1990، **ص**122.

3 -سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدوّنات التوراتية، ط1، دار بيسان، لبنان، 1998، ص15.

يقابل في العربية مادة (رفع)، فيكون معنى الإسم (عم رفيع)، أو مادة (رفع) التي تدل على السعة والخصب[1]

ذكر حمورابي في التوراة باعتباره ملكًا عظيمًا ورفيع الشأن قدّم أَجَلَّ الخدمات لشعبه باسم " أَمْرَافَلَ"[2]، تبعا للنص الذي يقول«1وَحَدَثَ فِي أَيَّامِ **أَمْرَافَلَ** مَلِكِ شِنْعَارَ وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلَّاسَارَ وَكَدَرْلَعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ وَتِدْعَالَ مَلِكِ جُوييمَ 2أَنَّ هَؤُلاَءِ صَنَعُوا حَرْباً مَعَ بَارَعَ مَلِكِ سَدُومَ وَبِرْشَاعَ مَلِكِ عَمُورَةَ وَشِنْآبَ مَلِكِ أَدْمَةَ وَشِمْئِيبَرَ مَلِكِ صَبُوييمَ وَمَلِكِ بَالَعَ (الَّتِي هِيَ صُوغَرُ). 3جَمِيعُ هَؤُلاَءِ اجْتَمَعُوا مُتَعَاهِدِينَ إِلَى عُمْقِ \لسِّدِّيمِ (الَّذِي هُوَ بَحْرُ \لْمِلْحِ). 4اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً اسْتُعْبِدُوا لِكَدَرْ لَعَوْمَرَ والسَّنَةَ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ عَصَوا عَلَيْهِ. 5وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ أَتَى كَدَرْ لَعَوْمَرُ وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا الرَّفَائِيِّينَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ وَالزُّوزِيِّينَ فِي هَامَ وَالإِيمِيِّينَ فِي شَوَى قَرْيَتَايِمَ 6 وَالْحُورِيِّينَ فِي جَبَلِهِمْ سَعِيرِ إِلَى بُطْمَةِ فَارَانَ \لَّتِي عِنْدَ \لْبَرِّيَّةِ. 7ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطَ (الَّتِي هِيَ قَادِشُ). وَضَرَبُوا كُلَّ بِلاَدِ الْعَمَالِقَةِ وَأَيْضاً الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حَصُّونَ تَامَارَ8فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ وَمَلِكُ عَمُورَةَ. . . . . فَهُمْ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ[3].

أما عن مدينة بابل التي حكمها حمورابي فقد ذكر هيرودوت بأنّها : «... تقوم المدينة في سهل فسيح وفي شكل مربع تماما، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه مئة وعشرين ستادي[7]، وعلى هذا يقدر محيطها الداخلي بأربعمائة وثمانين ستادي، فلم تكن هنالك مدينة أخرى تضارعها في أهميتها ...»[4]، ويشكل أيضا موقع بابل نقطة اتصال بين بلاد الرافدين والشام والبحر المتوسط، ويسمح لها بمراقبة الطرق المؤدية إلى الأناضول وبلاد فارس، ولما كانت بابل تقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات، فإنّ هذا النهر العظيم شكّل سدًا منيعا يحميها من جهة الغرب، كما أنّ نهر دجلة القريب يحميها من

---

1 -سبتينو موسكاتى ، الحضارات السّامية القديمة، تر: السيد يعقوبي بكر، دار الرّقي، بيروت، 1986، **ص** 252.

2 -إيج. إى. إيل. ملرش ، قصة الحضارة في سومر وبابل، تر: عطاء بكرى، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971، ص53-54.

3 -سفر التكوين (1 : 14 -2-3-4-5-6-7-8).

4 -يساوي واحد ستادي مسافة تتراوح مابين150إلى 190 متر- انظر : ك. ماتيف/سازونوف، **بلاد مابين النهرين**، تر: حنا أدم، دار المجد، دمشق، 1991، ص98.

جهة الشرق، وبالتالي تكون هذه الاعتبارات سببًا في اتخاذ أسرة بابل الأولى لهذه المدينة عاصمة لدولتهم[1].

الإنتصارت العسكرية:

1-مرحلة دمج الممالك الضعيفة.

عندما تسلّم حمورابي الحكم في بابل[2] خلال عام1792 ق م، كانت مدن مثل زيبار وكيش وديلبات وكزالوا ومَارِدْ وغيرها تقع في محيط لايتجاوز 80 كلم حول بابل، ومن هنا يتبين أنّ سلطة الدولة البابلية كانت محدودة[3]، فضلاً عن وجود عدة قوى تتنازع على السلطة فيما بينها، ومنها مملكة لارسا بزعامة ملكها"ريم سين"، إلى جانب ذلك كانت هناك ثلاث دويلات في شمال بابل تحت سلطان الملك الأشوري شمشي حدد الأول، وهي أشور وإقليم إيكلاتوم وماري، وإلى الشرق كانت هناك مملكة أشنونا المستقلة في الأقاليم الواقعة ما بين نهر دجلة وديالى[4]، بزعامة ملكها دادوشا، الحليف لملوك عيلام، إذ كان هو الأخر طامعاً في الاستيلاء على بابل، فكان يتحين الفرص للقضاء عليها وضمّها لمملكته[5].

وقد كان الصراع السياسي والتنافس على السلطة على أشده بين هذه الدويلات للسيطرة على المنطقة وتوحيدها لإعادة الحكم المركزي في بلاد الرافدين، حيث كلّما نمت قوة إحدى الدويلات وتعاظمت وضمّت إليها عددا من المدن والدويلات المجاورة سارعت الدويلات الأخرى لإقامة الأحلاف العسكرية للوقوف أمامها والتصدي لها وبالتالي تحجيم خطرها، وكان لشخصية الملوك والحكام الذين كان جُلّهم من الأقوام الأمورية القادمة من الغرب أثر كبير في إقامة الأحلاف والانضمام إلى هذا الحلف أو ذَاك، حيث كان هناك أكثر من حلف واحد يتوزع على المنطقة حسبما

---

1 - Marguerite Rutten , Babylone, Presses Universitaires de France, Paris. 1958, p 18.

2 -فوزي رشيد، **سلسلة الموسوعة التاريخية** "القوانين في العراق القديم"، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص 76.

10 هورست كلينكل، **حمورابي وعصره**، تر: محمد وحيد خياطة، ط1، دار المنارة للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، 1990، **ص51.**

3 -هورست كلينكل، **حمورابي وعصره**، تر: محمد وحيد خياطة، ط1، دار المنارة للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، 1990، **ص51.**

4 -عبد القادر الشيخلي، المرجع السابق، ص 122.

5 -Georges roux, Ancient Iraq, third édition, Penguin books, Iran, 2000, p 197.

أوردته الرسائل المكتشفة في ماري[1]، والتي جاء في محتواها بأنه "لايوجد هناك ملك هو الأقوى وحده، فهناك عشرة أو خمسة عشر ملكًا يتبعون "حمورابي" ملك بابل، والعدد نفسه يتبع "ريم سين" ملك لارسا، والعدد نفسه يتبع "ايبال- بيل" ملك أشنونا، والعدد نفسه يتبع "إبي- إيل" ملك قطنا، وعشرون ملكا يتبعون "يارم- لم"ملك يمخد"[2].

تميل الأراء إلى أنّ حمورابي كان يتمتّع بعلاقات جيدة مع الدولة الأشورية، ومع ملكها شمشي حدد، وتوضّح بعض الرسائل من ماري أنّ الاتصالات بين "حمورابي" وَ"شمشي حدد"، كانت تتّسم بالصداقة والوّد، حيث كانت السلطة الأشورية تتوجه إلى "حمورابي" بالرجاء لحماية قوافلها التجارية التي تمر ببلاد بابل، كما كانت أشور تعيد اللاّجئين الهاربين من العدالة والمقيمين في ماري إلى السلطة البابلية[3].

بعد موت "سين مبلط" (والد حمورابي) وحاكم مملكة بابل كانت أشور في شمالي بلاد الرافدين على وشك تحقيق وحدة البلاد كلها بقيادة "شمشي حدد"، حيث كان ملك أشور يتصرّف من موقع قوي بعد أن سيطر على "أشور" و"نينوى" وعلى "ماري" وهدّد طريق الفرات إلى بابل، وهو مايدل على أنّ الجيش الأشوري قد اشتد بأسه لِمَا كان يملكه من أدوات الحرب والحصار كالأبراج العالية والحصون المتحركة ومخازن حفظ الأسلحة، إضافة إلى أسلوبه الحربي المتمثل في شق الأنفاق إلى داخل المدن المحاصرة، مما يعنى أنّ "شمشي حدد" كان يتمتع بقدرة رائعة على التنظيم السياسي والعسكري، كما هو الحال عند "سين مبلط" وإبنه "حمورابي" الذي إلتزم الهدؤ تجاه أشور محافظًا على معاهدة التحالف التي كان هو نفسه قد طلب عقدها من قبل[4].

توضّح الرسائل الهّامة الموجهة إلى حمورابي خُضوع بابل لنفوذ أشور السياسي، إلاّ أنّ هذا لايعني إطلاقا أنّ حمورابي كان تابعا بشكل مباشر

1- عامر سليمان، **العلاقات السياسية الخارجية، حضارة العراق**، ج2، دار الحرية، بغداد، 1985، ص121.

2- Marc Van De Mieroop, A History of the Ancient Near East (3000-323 BC), Second Edition, Blackwell, U. S. A, 2007, p 85.

3 -هورست كلينكل، المرجع السابق، ص52-53.

4 -محمد حرب فرزت، عيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم (سومر وأكاد- بابل وأشور-أمورو وأرام)، ط2، دار طلاس، دمشق، 1990، ص138-139.

للملك الأشوري، الذي كانت له محطات إقامة كثيرة على حدود الدولة البابلية شمالاً، وهو ما جعل حمورابي يدخل في تحالفات مع هذا الحاكم النشيط[1].

كما أن عقد الأحلاف مع بعض الدويلات إنما يعتمد في الأساس على تقديرات الملوك والحكام لما سيحدث في المستقبل وعلى العلاقات الشخصية التي كانت تربط بينهم، وغالبا ما كانت تتغير تلك العلاقات بموت أحد الملوك أو تغير سياسي مفاجئ[2].

يُلاَحَظُ أيضا في بلاد النهرين تزايد تصارع القوى والانقسام السياسي والحروب الداخلية، فظهور الدولتين إيسن ولارسا، وإطلاق ملوكها على أنفسهم لقب ملوك سومر وأكاد، واللّتان بصراعهما أنهك كل طرف منهم الآخر، حيث لم يستطع ملوكها تحقيق السلطة على كل البلاد، أضف إلى ذلك فإنّ لارسا وقعت تحت تأثير جارتها عيلام التي كان ملوكها يُنصِّبون على مدينة لارسا حُكّامًا من صنائعهم[3].

عرفت لارسا أثناء وصول "ريم سين" خليفة "وارد سين" إلى الحكم ازدهارا كبيرًا، وفي عصره وصل فرع أموري جديد إلى السلطة في أوروك، وتشكل في عام (1810 ق. م) تحالف ضمّ أوروك وإيسن وبابل ورابيكوم(مدينة على الفرات شمال سيبار)، وقد استطاع "ريم سين" أن يشتّت شَمْل هذا التحالف، وفي عام (1803 ق. م) هَجَمَ "ريم سين" على أوروك وحطّم أسوارها وسقطت المدينة أمام جيشه، وبعد عشر سنوات لاقت "إيسن"نفس المصير، لكن بابل بقيت صامدة، حيث عمل الملك الخامس من سلالتها "سين مبلط" بحذر ودقّة، فخصّص عشر سنوات من حكمه لتدعيم تحصينات مملكته التي ضمّت مع بداية القرن الثامن عشر قبل الميلاد مدنًا مثل كيش وديلبات وسيبار وبورسيبا، واستطاعت إيقاف "ريم سين" أمام حصونها، وفي عام 1792ق. م جلس حمورابي على عرش سلطة بابل، والذي كان هدفه أن يجعل من دولته وريثة أور سياسيًا وحضاريًا[4].

---

1 -هورست كلينكل، المرجع السابق، ص53.

2 -محمود شاكر، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، ج1، دار أسامة، عمان، 2002، ص 78.

3 -نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي، دار الفكر، دمشق، (د-ت)، ص31.

4 -أمل ميخائيل بشور، تاريخ الإمبراطوريات السّامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2008، ص ص83-85.

مما لاشكّ فيه أن عرض الأحداث والوقائع كما دوّنها مُرسِلوا رسائل "زمري ليم" أمر يكتنفه الغموض، ولا يتيح مجالاً لجلاء خلفيات هذه الأحداث وترابط بعضها ببعض، وبما أنّ الرسائل غير مؤرخة، وكانت ترسل من حين إلى آخر، فإنّه يصعب ترتيبها ترتيبًا زمنيًا موثقًا، على عكس الوثائق التاريخية، وبالتالي هي تجبر المؤرخ على اعتماد مضمونها فقط لاستخلاص بعض المؤشرات التي تساعده في إلقاء الضوء على بعض الأحداث، وعلى كل حال تساعد مضامين تلك الرسائل في التأكد من صحّة وقوع بعض الأحداث الهّامة المذكورة في الحوليات، وقد ثبت أنّ فترة بداية حكم حمورابي كانت فترة ركود وسلام، لم يتخلّلها أيّ حادث سواء على الصعيد السياسي أو العسكري، وبقيت سلطته خلال تلك الفترة المحدودةِ النّطاق لم تتجاوز أفق الدولة البابلية القديمة[1]، حيث بدأ بسياسة التعايش والتحالف مع الدويلات والمدن القريبة دون الإصرار على إخضاعها[2].

أصدر حمورابي مرسومًا للعفو الشامل يسمى((ميشاروم))، والذي أُطلق على السنة الثانية من حكمه، وعلى الرغم من ذلك، إلا أنّ السنوات الخمس الأولى من حكمه كانت المعلومات فيها عن الحياة السياسية لمملكة بابل محدودة بعض الشيء، وذلك لأنّ الأرشيف الخاص بمملكة ماري والمتعلّق بالفترة التي حكم فيها "يسمح أدد"، كانت المعلومات فيها أقل بكثير من المعلومات عن الفترة التي تلتها، أي زمن حُكم زمري ليم، وكانت مملكة ماري آنذاك تابعة لمملكة بلاد النهرين العليا التي حكم فيها "شمشي حدد"، وقد حافظ هذا الأخير على اتصالاته الدبلوماسية مع القوى الخارجية[3].

إنّ معظم أسماء الأعوام خلال الفترة الأولى من حكم الملك حمورابي لها علاقة بأعمال البناء والتقرب للآلهة بالقرابين، وبقي المضمون السياسي والعسكري حِكرًا على أسماء الأعوام السابع والثامن والعاشر والحادي عشر. وبهذا نرى أن الملك حمورابي سَعى لتوسيع حدود مملكته ليس فقط باتجاه المحور الذي يشكله مجرى نهر الفرات، أي جنوبا باتجاه مدينتى إيسن وأوروك، وشمالا باتجاه مدينة رابيكوم، بل أيضا باتجاه دجلة نحو مدينة

[1] -هورست كلينكل، المرجع السابق، ص 54.
[2] -عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم "مصر- العراق"، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ص 694.
[3]- Dominique Charpin, Hammu-rabi de babylone, Presses Universitaires de France, Paris, 2003, p 48

مالجيوم[1](Malgium) الذي ذكر اسمها للمرة الأولى في الوثيقة الخاصة بالسنة العاشرة ولم يتم تحديد موقعها الأثري، ولكن الشيء المذكور أنها تقع في موقع إستراتيجي، أي على ضفاف نهر دجلة أعلى مدينة "ماشكان شابير"، أي في الموقع الذي يعبر فيه النهر الطريق الممتدة بين بابل ودِرْ، وهذا الاكتشاف سمح للعلماء أن يعرفوا أهمية هذا الموقع، حيث أنّ الملك حمورابي ومن خلال سيطرته على هذه المدينة يمكن أن يسيطر على مجرى نهر الفرات، وبذلك يتمكن من قطع مياه النهر عن مملكة لارسا الواقعة في أسفل النهر[2].

وفي السنة السابعة من حكم الملك حمورابي استطاع أن يَستوليَ على مدينتي أوروك وإيسن، وهما المدينتان اللّتان ظلّتا على مدى خمس أو سِت سنوات تحت حكم "ريم سين"(ملك لارسا)، ولكن مايثير الاستغراب هو تنازل "ريم سين" بسرعة عن مدينتين هامتين لحمورابي ومن ثَّم استعادتهما في فترة لم تدم طويلا حسب ما ذكرته الوثائق، وبسبب هذا الاستيلاء هاجر كثير من سكان هاتين المدينتين، وقد شنَّ الملك حمورابي هجمات على مدينة مارد(Marad) الواقعة في الأراضي البابلية[3].

وفي سنة 1783ق. م إستولى حمورابي على مدينة رابيكوم ومحيطها، وهي مدينة تقع على نهر الفرات، وقد أطلق اسم الفتح لهذه المدينة على السنة الحادية عشر، وقد كان هذا النجاح بمساعدة أحد الولاة التابعين لملك أشنونا، ويرجع الفضل في هذا الاستيلاء إلى الدعم الذي قدَّمه "شمشي حدد" للملك "حمورابي"، ويظهر التحالف في نهاية السنة العاشرة من حكم الملك حمورابي أي في عام 1783 ق م[4].

لعّل حمورابي أراد من وراء انتصاراته هذه أن يحد من نشاط أعنف منافسيه "ريم سين" ذو الأصل العيلامي وآخر ملوك لارسا، الذي ظلّ يناوئ حمورابي حتى العام الثلاثين[5]، كما أنّ كل المحاولات التي كانت تبذل لِضمّ

---

1 -Ibid.
2 -Ibid, p 49-50.
3 -Ibid, p 48-49.
4 -Ibid, p 50-51
5 -محمد بيومى مهران، مصر والشرق الأدنى القديم"تاريخ العراق القديم"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 223.

المناطق الجنوبية كانت تبوء بالفشل، بسبب وجود لارسا ذات القوة المتعاظمة، والتي تمكّنت من بسط نفوذها على الجنوب الرافدي[1].

هذا وقد استطاع ملك أشنونا "دادوشا" تحقيق نجاح في الاستيلاء على رابيكوم مرة أخرى[2] ويفهم من ذلك أنّ حمورابي فَقَدَ هاته المنطقة التي كانت بحوزته سابقاً. وفي تلك الفترة عرض الملك دادوشا تحالفه مع الملك شمشي حدد، لكن هذا الأخير أشرك حمورابي في جني ثمار تحالفه الجديد مع ملك أشنونا وأعطاه مدينة "رابيكوم" ومدينة"حارب"، وبوفاة الملك دادوشا خلال عام1779ق.م بدأ عهد جديد من الخلاف والتوتر بين كل من "شمشي حدد" و"حمورابي"، وانتهى الأمر بينهما بعقدهما عهد تحالف مع "إيبال بيل" ملك أشنونا الجديد[3].

أَعَدَّ الملوك الثلاثة السالف ذكرهم حملة عسكرية مشتركة ضدّ ملك مدينة مالجيوم، وقد اتضح في بعض الرسائل التي وجدت في مملكة ماري صورة لهذه الحملة العسكرية المشتركة التي قادها جيوش الملوك الثلاثة في عام 1777 ق م، فانحدرت جيوش مملكة بلاد الرافدين العليا من نهر دجلة لملاقاة جيش أشنونا في "منكيسوم" واجتاحت قوات التحالف بلاد مالجيوم ودمّرت بعض المدن وحاصرت العاصمة، وأمام حجم قوة المهاجمين الساحقة قام ملك مالجيوم بدفع فِدية كبيرة مقدارها خمسة عشر تالنت، أي مايعادل (450)كيلوغرامًا من الفضة، تقاسمها الملوك الثلاثة بالتساوي، ورغم أهمية هذا المبلغ إلا أنّ الملك حمورابي لم يطلقه على إحدى سنوات أعماله[4].

توفي الملك شمشي حدد في عام 1775ق.م، خلال السنّة الرابعة من حكم" إيبال-بيل" الأشنوني، وفي السنة العاشرة من حكم حمورابي البابلي، بينما كان الملك ريم سين في الحكم أربعًا وسبعين سنة، وبهذا فإن وفاة "شمشي حدد" فتحت الطريق أمام سعي حمورابي للحصول على لقب إمبراطور، فضلا عن أنّ هذا الملك المتوفى لم يقف البتة في وجه مشاريع مملكة بابل التي كانت إلى ذلك الحين تمتد باتجاه الجنوب، فقد تقاسما مرارًا ثمرة جهودهما المشتركة سواء في غزو مدينة رابيكوم أو في غزو مدينة مالجيوم[5].

---

[1] -هورست كلينكل، المرجع السابق، ص 46.

2 -Dominique Charpin, Op. Cit, p 51.

3- Ibid, p 52-53.

4- Ibid, p 54.

5- 58 Ibid, p

نتج أيضًا عن وفاة "شمشي حدد" إنهيار التوزان القائم في بلاد الرافدين، ودخول البلاد مرحلة جديدة من الصراع، وتمكن"زمري ليم" من استرجاع عرش أبيه في ماري، مما يعنى أنّ حاكمها الأشوري إشمي دجان(1781-1742 ق. م) آنذاك لم يكن قادرا على مواجهة الهجوم الذي اندفع نحو حدود ماري من شعوب الشمال والشرق وقبائلها، باتخاذه موقفًا دفاعيًا دون أن يكون كافيًا، وهكذا تعدّد المتنافسون على زعامة بلاد الرافدين وأصبحوا أربعة، ماري في الغرب وأشنونا في الشرق ولارسا في الجنوب وبابل في الوسط[1].

2-مرحلة ضم الممالك القوية:

قام حمورابي بعد السنة العاشرة من حكمه بإعادة النظر في سياسته الخارجية، لفقده مناصرًا وشخصية قوية مثل "شمشي حدد" كانت تحمي ظهره، حيث لم يكن لِأبناءه تلك الصفات العسكرية والسياسية التي يتمتع بها والدهم المتوفى، فكان على حمورابي أن يحافظ على السلام مع جاره "ريم سين" حاكم لارسا، ويتعايش مع دولة أشنونا ويحافظ على العلاقات الطيبة التي تربطه بأشور[2].

وضع حمورابي نُصب عينه الخطر العيلامي، الذي كان يهدد دولة بابل، فقد استطاع الملك العيلامي "ريم سين" من لارسا القضاء على أسرة إيسن في بداية عهد حمورابي ، فبدأ هذا الأخير يتخذ من الإجراءات الداخلية في البلاد ما يكفل له تحقيق هذا الهدف[3]، وشيئا فشيئا اطمئن حمورابي إلى متانة موقفه وسلامة ظهره، ومن ثم فقد تفرغ لِملك لارسا وحلفائه، حيث مال ميزان القوى إلى جانبه منذ العام الثلاثين من حكمه، حتى فرَّ "ريم سين" إلى منطقة "إيموتبال"، مسقط رأس أسرته، وتتبعته الجيوش البابلية إليها، ثم واصلت انتصاراتها فيما يليها من أرض عيلام وسيطرت على جزء منها[4].

ويشير سامي سعيد الأحمد بأنّ حمورابي قد تلقّى في حربه مساعدة من أشنونا، وربما من ماري، حيث طلب مساعدة عسكرية من "زمري ليم" ملك ماري، قبل أن يَشُنَّ هذه الحرب، ويبدوا أنّ "ريم سين" إنّما كان يتخوّف من

---

1 -محمد حرب وعيد مرعي، المرجع السابق، ص139.
2 -هورست كلينكل، المرجع السابق، ص53.
3 -نبيلة محمد عبد الحليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الإسكندرية، 1983، ص 178.
4 -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص695.

حمورابي، ففي أحد رسائله لحمورابي يطلب تكوين حلف دفاعي هجومي بينهما، وقد كانت العلاقات طيبة بين الإثنين في بداية الأمر، وقد أشارت إحدى الرسائل إلى وصول أربعة مندوبين من لارسا إلى بابل مع وكيلين لحمورابي يسكنان منطقة لارسا، ممّا يدّل على بثّ حمورابي العيون في المنطقة التي كان يحكمها ريم سين، وعلى أنّ عملاء حمورابي كانوا يتصلون بالمواطنين هناك لتنفيذ خططهم والحصول على ما يبتغون[1].

تنبَّأَ مندوب "زمري ليم" في بلاط حمورابي بِقُربِ موعد الحرب بين بابل و لارسا، وأخبر سيّده بأن حمورابي قد أرسل إلى "ريم سين" رسالة قبيل غزوه المفاجئ للمدينة، يخبره فيها عمّا يكنه له من حب عميق، وصار حمورابي بحق ملك سومر وأكاد، وفي نُصب وضعه في "أُور" بعد أَخْذِهَا مِن "ريم سين"، ذكر فيها انتصاره على عيلام والجوتيين الذين كانوا يستوطنون أواسط زاكروس في منطقة همدان[2].

كانت خطة حمورابي الثانية تتمثل في تحركه بالاشتراك مع حاكم ماري، وربما كان حلفاً ثلاثيا يضم بابل وماري ويمخد[3] ضد أشنونا، فضلا عن السوبارتيين والجوتيين ومالجيوم، و كانوا جميعا يتحركون ضد بابل، غير أنّ حمورابي سرعان ماحقق نصرا عليهم، ومع ذلك فقد بدأ خطر أشنونا يشتد طبقا لما جاء في رسالة ملك ماري إلى حمورابي يخبره بأنّ ملك أشنونا قد جمع قواته وهو في طريقه إلى "شوثولوم"، وبناء على ذلك أرسل حمورابي إلى"زمري ليم" البعض من قواته البابلية للمشاركة في الحرب ضد أشنونا[4].

يظهر أيضا أنّ ملك أشنونا كان يتوقع حصول مساعدة من عيلام، وهو الأمر الذي أغضب حمورابي، وهو ما تؤكده إحدى الرسائل من ماري بأنّ حمورابي سيقطع علاقاته مع عيلام لهذا السبب، ومهما يكن من أمر فقد

---

1 -سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص89.

2 -نفسه، ص90.

3 -يمخد تعرف باسم يمحاض وهى حلب حاليا، سكنها الأموريون وجعلوها عاصمة عرفت بمملكة يمخد، كما ذكرت الوثائق الخاصة بهذه المدينة أسماء الملوك الذين حكموا فيها(أبعل، نقمايا، أركابتوم، أميتاكوم، يريملم، حمورابي وهو غير حمورابي البابلي. . الخ)، ومن ملوكها "سمو أبوخ" الذي وقف مع ملك مارى الطموح " أخدونليم"، كما كونت يمخد مع مارى حلفا قويا ضد أشور وقطنا، واستطاع ملك ماري أن يعود إلى عرشه بفضل مساعدة ملك يمخد"يريملم" انظر: خزعل الماجدى، المعتقدات الأمورية، ط1، دار الشروق، عمان، 2002، ص25.

4 -سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 90.

أضعفت حرب "زمري ليم" أشنونا، مما سهّل وقوعها في يد حمورابي الذي قام بتدمير أشنونا، أي(توبيلياش-Tupliasch)، بكميات هائلة من المياه مُدَّعِيًا أنّه أمر من الآلهة، لكن هذا الأمر يشير في حد ذاته إلى أنّ فيضانًا مصطنعا قد حدث بسبب تدمير السدود، الذي أَدَّى إلى خَرَابِ أشنونا ومع ذلك فإن هناك من يذهب إلى أنّ حمورابي لم يضمّ أشنونا وإنما ترك ذلك إلى مابعد قضائه على "زمري ليم" لأنّه لم يكن يرغب في إعطاء معاصريه من الحكام أيّة فكرة تجعلهم يعتقدون أنّه طامع ومحب للتوسع[1]، لكن الأرجح أنّ حمورابي إنما قضى على أشنونا في عام حكمه الثاني والثلاثين، بعد أن كان قد قهرها في عامه التاسع والعشرين، ليبدأ حملته على ماري في عامه الخامس والثلاثين[2].

كان حمورابي يرى أنّ استمرار اتصال "ريم سين" مع موطنه الأصلي الذي شكّل مصدرًا هامًا لإمداده بالإمكانات البشرية والمادية إنما يدعم من مركز "ريم سين" العسكري ويُطيل مدة الحرب، ولذلك قام حمورابي بحركة التفاف عسكرية كبيرة قطع بها على "ريم سين" اتصاله بعَيلام، وجعله أسير المنطقة الصغيرة التي بقيت خاضعة لنفوذه في جنوب بلاد النهرين، وقد ورد في بعض مخلفات حمورابي المكتوبة (أنّ ريم سين وقف في وجهه، وأنّ حمورابي. . . . جمع جنده وبرز لقتال ريم سن ملك أور، وغزا مدينتي أور ولارسا ونقل كنوزهما إلى بابل. . . . ، ولكن "عيلام" هبّت لنجدة "ريم سن" فتصدى لها حمورابي. . . . وبمساعدة الرّبين "أنو" و"إنليل" أذّل بلاد "ياموت بال" والملك ريم سين. . .)[3].

أدرك "زمري ليم" ملك ماري خطورة الموقف الجديد نتيجة لانتصارات حمورابي، فأعلن انضمامه إلى الجانب العيلامي، كي يحاول تغيير مجرى الأحداث ويقلب هزيمة "ريم سين" إلى نصر يَحُدُّ به تعاظم سلطة بابل، ولكن حمورابي استطاع الانتصار على الحلف المعادي، وأسر الملك "ريم سين" العيلامي الذي حكم حوالي واحدًا وستين عاما[4].

---

1 -محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 224 – 225 ؛ سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 90

2 -محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 225.

3 - توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق. م" بلاد النهرين- بلاد الشام"، ط1، دار دمشق، 1985، ص ص170-171.

4 - أنطوان مورتكات، ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تر: توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967، ص135.

كانت علاقات "زمري ليم" ملك ماري مع حمورابي قوية، حيث ساعد بعضهما البعض، بل كان لكل منهما مندوبون لدى بلاط الآخر، غير أنّ حمورابي إنما كان يخشى قوة ماري بسبب ثرائها الواسع، وبسبب علاقاتها القوية مع مملكة يمخد[1]، ليلتفت إليها حمورابي في السنة الخامسة والثلاثين من حكمه، أي بعد عامين من انتصاره على"ريم سين" وَحِلفه، وبعد معركة قاسية بين الجانبين هَزمت فيها جيوش بابل جيش ملك ماري، ونتج عنها سقوط العاصمة ومحاصرة "زمري ليم" في قصره بعد أن التهمته النيران حيث لَقِيَ مصرعه هناك[2]، وبعد عامين عاود الهجوم عليها مرة ثانية وأحرق قصرها إثر إنتفاضة قامت هناك ضده[3]، حيث تحدّث حمورابي في كتاباته عن ذلك بأنه (أسقط ماري ومالجيوم حربا، وجعل ماري. . . وكذلك عدة مدن أخرى تابعة لسوبارتو بموجب اتفاقية ودية تستمع إلى أوامره)[4].

كان لملك ماري"زمري ليم" سفراء ومخبرين في بابل يطلعونه على مجريات الأمور وتطورات الأحداث في العاصمة البابلية وفق أدق التفاصيل، حيث بيّنت إحدى الرّسائل الموجهة من المخبر"إيبال- بل" والذي هو نفس اسم حاكم أشنونا إلى سيده في ماري بأنّ "حمورابي" يطلعني على كل الأعمال التي يزمع القيام بها باستمرار، ويخبرني عن مكان حلّه و ترحاله، حتى أتمكن من الوصول إليه في أي وقت، ويخبرني عن كل ما يدور في رأسه وأنا أقوم بدوري بإطلاع سيدي على أهم الأحداث أَوّلاً بِأَوَّل"، ومن غير المعقول أن يقوم حمورابي بإفشاء مخططاته وما كان يعتزم القيام به، لكنه بالمقابل كان له رجاله الثقاة في بلاط مارى، حيث يفهم من إحدى الرسائل أنّ حمورابي اعتمد على المعلومات التي ضمّنها أحد رجاله ويدعى"بقوم" لمعرفة الوضع القائم والأحداث السياسية التي كانت تجري في منطقة الشمال الرّافدي، وتطابقت هذه المعلومات حرفيا مع معلومات شخص آخر يدعى"بخديليم" كانت تخضع له مجموعة من المخبرين الموزعين في كافة أرجاء منطقة الفرات الأعلى، حيث كلّف حمورابي كِلاَ

1 - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص90.
2 - توفيق سليمان، المرجع السابق، ص171.
3 - أنطوان مورتكات، المرجع السابق، ص135.
4 - Roux George, La mésopotamie Essai d'histoire politique économique et culturelle, éditions du Seuil, paris, 1985, p 179.

المخبرين "بقوم"و"بخديليم" بتزويده باستمرار بكافة المعلومات عن"زمري ليم" وعن تحركات جيشه وعن تحركات وتنقلات فرق جيوش عيلام وأشنونا[1].

يستنتج من مضمون بعض رسائل ماري التي تشيد بالتحالفات العسكرية المعقودة بين ماري وبابل إلى أنّ العلاقات بينهما لم تكن على خير مايرام، وأنّ هناك أشياء تحدث تعكّر صفو الوئام السائد بين الدولتين الحليفتين، حيث يُستشفُّ من خلال رسالة موجهة من رسول مارى في بابل إلى سيده "زمري ليم" باللاّمبالاة التي استقبل بها وفد ماري في بلاط حمورابي، إذ يقول رسول "زمري ليم " صحيح أنّهم ألبسونا ومن معنا من الوفد حلّة رسمية، شأننا في ذلك شان الوفد القادم من يمخاض بمناسبة حفل طعام في القصر، إلاّ أنّ هذا الشرف لَمْ يَحْظَ به وفد "زمري ليم"، مما أثار غضبهم فغادروا القصر ساخطين، وعندما نُقِلَ إلى حمورابي الخبر، استدعاهم ثانية وطيّب خاطرهم، وألبسهم ثياب القصر، ونبّههم إلى أنّه في مثل هذه المناسبات الرسمية يمنح القصر الثياب الرسمية لمن يشاء، ويمنعها عمن يشاء، وفي مناسبات قادمة لن يمنح المبعوثون الأجانب الثياب الملكية[2].

إذا جئنا إلى دولة مدينة أشور[3]والتي تعرف أيضًا ببلاد سوبارتو[4] نجد من بين حكامهم الذين عاصروا حمورابي "شمشي حدد"، وذلك في السنوات العشر الأولى من حكمه ، ويبدوا أنّ العلاقة بينهما كانت مبنية على الصداقة، وربما لم يحاول الطرفان المجابهة الفعلية، وقد مكنّت سياسة "شمشي حدد" الداخلية الحازمة واعتماده على أبنائه في إدارة شؤون الأقاليم التابعة له من استقرار الوضع نسبيًا، وازدهار الحياة في بلاد أشور بفضل نشاط تجارتها الداخلية والخارجية، غير أنّ "شمشي حدد" تُوفي وخلفه في الحكم[5] ابنه "يشمع داجان الأوّل"[6]الذي استطاع أن يقضي على عصيان مسلح قبل أن يصل إلى سدّة الحكم، ويُستخلص من بعض نصوص ماري أنّه فَقَدَ سيطرته على أواسط بلاد الرافدين، كما تشير إحدى رسائل مارى أيضا إلى أنّ "يشمع داجان" كتب إلى

---

1 - هورست كلينكل، المرجع السابق، ص 56.
2 - نفسه، ص61.
3 - نعيم فرح، ، المرجع السابق، ص31.
4 - أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص102.
5 -محمود شاكر، المرجع السابق، ص99-100.
6 - عبد الحكيم الذنون، الذاكرة الأولى"دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين"، ط2، دار المعرفة، دمشق، 1993، ص 96 .

حمورابي مرارًا وتكرارًا ليضمن ولاءه، وفي نفس الوقت كانت العلاقة طيبة بين مملكة أشنونا وبابل، ولكن لم تفد كل تطمينات "يشمع داجان" والعلاقة الحسنة مع "حمورابي" في تهدئة مخاوف أشنونا من القوة البابلية الناهضة، إذ لم يكن بمقدور المملكتين بحال من الأحوال التصدي لطموحات حمورابي الجريئة، أضف إلى ذلك أن "يشمع داجان" كان منهمكًا في مقاومة شعب جبلي يدعى" توركان" استنفذ له قواه[1]

توجه حمورابي في الفترة مابين العامين السادس والثلاثين والثامن والثلاثين من حكمه إلى سوبارتو موطن الأشوريين[2] ليُخضع كافة مُدنها، حيث عثر في أميدَا (ديار بكر الحالية) على منحوتة قد تدل على وصول حمورابي إلى هناك[3]، وعند وقوع بلاد أشور تحت سلطة بابل انتهت بذلك سلالة شمشي حدد الأول، وظلت تحت نفوذهم طوال حكم حمورابي، والمعلومات التي أعقبت وفاة حمورابي قليلة، وربما استقلت أشور عن نفوذ بابل وقامت فيها سلالة محلية لا يعرف عنها سوى أسماء حكامها، وظلّ الوضع في بلاد أشور مرتبكا وغامضا حتى بداية حكم "بوزور أشور الثالث"(1521ق. م) الذي يعتبر عهده بداية للعصر الأشوري الوسيط[4].

عُثر على لوح في مدينة "أور" يحتوى نصًا باللّغة السومرية، وفي لوح آخر يحتوي نفس النّص لكن باللّغتين السومرية والأكادية يفتخر فيه حمورابي مادحًا نفسه، حيث يقول فيه ((أولئك الذين أظهروا لي العداوة قتلتهم، حطمت أسلحتهم، ودمرت بلادهم وأخذت سكانهم أسرى، وسحقت جيوشهم، أولئك الذين عصوا أمري وضعت قدميَّ فوق ظهورهم، أنا الملك الذي حقق رغبة الإله "مردوخ" القتالية وجعل قوة الأعداء تتلاشى، طردت الأعداء الحاقدين، واجتثثت جذور الشر من البلاد، وتركت المواطنين يعيشون بأمان واطمئنان في رغد من العيش، ولم يعد هناك من يقضّ مضجع الآمنين))[5] ، وبهذا تمكن حمورابي من السيطرة على كل بلاد النهرين، مما جعله يطلق على نفسه ألقابًا مثل (الملك القوي، ملك بابل، ملك كل بلاد أمورو، ملك سومر وأكاد، ملك الجهات الأربع)[6].

---

1 -هورست كلينكل، المرجع السابق، ص61.
2 -محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص 226 .
3 -سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص91.
4 -محمود شاكر ، المرجع السابق، ص100.
5 -هورست كلينكل، نفس المرجع، ص ص63-64.
6- Léon Homo, histoire D'orient, Librairie Arthéme Fayard, Paris, 1945, p79 ; Charpin Dominique, Op. Cit, p112.

أعقب حمورابي الوحدة السياسية بمجموعة من القوانين التي تتلاءم وطبيعة المجتمع آنذاك، من حيث اتساع الرقعة الجغرافية للبلاد والتنوع السكاني في عهد هذا الملك، فغطّى به جميع القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ظل الدولة الموحدة، من خلال القانون الذي يربط الأقاليم بالسلطة المركزية، والاعتماد على الركائز الوحدوية المتمثلة في الجيش والقضاء وحكام الأقاليم، كما ساهمت قوانينه في فرض الأمن والاستقرار، وهو ما نلاحظه على مرّ العصور التاريخية القديمة والحديثة.

بيبليوغرافيا :

أولا- باللغة العربية :

- أنطوان مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تر : توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967.
- باقر طه، بابل وبروسبا، ط1، مطبعة الحكومة، بغداد، 1959، .
– بشور أمل ميخائيل، تاريخ الإمبراطوريات السّامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2008.
- توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق. م" بلاد النهرين- بلاد الشام"، ط1، دار دمشق، 1985.
- الذنون عبد الحكيم، الذاكرة الأولى"دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين"، ط2، دار المعرفة، دمشق، 1993.
- سامي سعيد الأحمد، العراق في التاريخ "العصر البابلي القديم"، دار الحرية، بغداد، 1983.
- الشيلخي عبد القادر، الوجيز في تاريخ العراق القديم، جـ. 1، جامعة بغداد، بغداد، 1990.
- عامر سليمان، **العلاقات السياسية الخارجية، حضارة العراق**، جـ. 2، دار الحرية، بغداد، 1985.
- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم "مصر- العراق"، جـ. 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004.
- فوزي رشيد، **سلسلة الموسوعة التاريخية** "القوانين في العراق القديم"، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.
- قاشا سهيل، أثر الكتابات البابلية في المدوّنات التوراتية، ط1، دار بيسان، لبنان، 1998.
- ماتيف ك. / سازونوف، **بلاد مابين النهرين**، تر : حنا أدم، دار المجد، دمشق، 1991.
- الماجدى خزعل، المعتقدات الأمورية، ط1، دار الشروق، عمان، 2002.
– ملرش إيج. إى. إيل. ، قصة الحضارة في سومر وبابل، تر : عطاء بكرى، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971.
- محمد حرب فرزت، عيد مرعي، دول **وحضارات الشرق العربي القديم (سومر وأكاد- بابل وأشور-أمورو وأرام)**، ط. 2، دار طلاس، دمشق، 1990.
- محمد عبد الحليم نبيلة، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الإسكندرية، 1983.

- محمود شاكر، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، جـ. 1، دار أسامة، عمان، 2002.
- مهران محمد بيومى، مصر والشرق الأدنى القديم"تاريخ العراق القديم"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
- موسكاتى سبتينو، الحضارات السّامية القديمة، تر : السيد يعقوبي بكر، دار الرّقي، بيروت، 1986.
- نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي، دار الفكر، دمشق، (د-ت).
- هورست كلينكل، **حمورابي وعصره**، تر : محمد وحيد خياطة، ط1، دار المنارة للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، 1990.

ثانيا- باللغة الفرنسية:

-Dominique Charpin, Hammu-rabi de babylone, Presses Universitaires de France, Paris, 2003.
- Georges roux, Ancient Iraq, third édition, Penguin books, Iran, 2000.
- Hérodote, Histoires, Livre I, traduit par Legrand, Les belles lettres, Paris, 1932.
- Léon Homo, Histoire D'orient, Librairie Arthéme Fayard, Paris, 1945.
- Marc Van De Mieroop, A History of the Ancient Near East (3000-323 BC), Second Edition, Blackwell, U. S. A, 2007.
- Marguerite Rutten, Babylone, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.
-Roux George, La mésopotamie Essai d'histoire politique économique et culturelle, éditions du Seuil, paris, 1985.